المورد

الهيثم بن عدي

بقلم

هادي حسين حمود

« تعتبر دراسة المؤرخين الاوائل للتاريخ الاسلامي مهمة جدا ، وذلك لاعتماد جمهور المؤرخين الذين جاءوا من بعدهم عليهم من جهة ، ولضياع اثار هؤلاء المؤرخين من جهة اخرى بسبب عوامل كثيرة لا مجال لذكرها هنا . اما ما عرفناه عن هؤلاء ومؤلفاتهم فلا تتعدى النتف القليلة التي وردت في مصنفات الاخرين الذين جاءوا من بعدهم . وعلى هذا الاساس فان دراسة هؤلاء المؤرخين تعتبر شاقة ، ذلك لاننا نستطيع تقييم المؤرخ صاحب التصانيف الموجودة المنتشرة من خلال دراسة مؤلفاته . اما المؤرخ الذي فقدت آثاره فنحن لا نستطيع تقييمه بصورة صحيحة وعندئذ نضطر الى دراسة النتف الباقية من مؤلفاته تلك التي وردت عند غيره من المؤرخين الذين اخذوا عنه » (١) . ومهما يقال عن مثل هذه الدراسات التي قد تتصف بعدم الاحاطة والشمول ، فهي في اعتقادي الطريقة الوحيدة الممكنة في الوقت الحاضر لدراسة مثل هؤلاء المؤرخين .

سنحاول في هذه الدراسة القصيرة للهيثم بن عدي ، ان نتعرف على حياته ومؤلفاته ، ومدى مساهمته في تدوين التاريخ الاسلامي ، كما اننا سندرس طريقة بحثه في هذا التاريخ وذلك من خلال النصوص الباقية له في المؤلفات التي اخذت عنه ولا سيما في تاريخ الطبري . وهذه النصوص الباقية هي من القلة بمكان لا يسمح للباحث ان يكون صورة واضحة نهائية عنه من خلالها من ناحية الاسلوب او العرض . وعلى كل حال فمن هو الهيثم بن عدي ؟ ومن هم اساتذته ؟ وما مدى استفادة المؤرخين منه ؟ وما هي كتبه ومؤلفاته ؟ وما هو منهجه في البحث التاريخي؟ تلك امور سأتحدث عنها في هذه المقالة ، وانا مشدود الى مصادري القليلة عنه .

ولد الهيثم بن عدي بن عبدالرحمن الطائي في الكوفة في او قبيل سنة ١٣٠هـ (٢) . وابوه عدي « ... صحيح النسب من طي ، من نمل ، وكان نازلا بواسط من خير الناس » . (٣)

اما امه فكانت من سبي منبج (٤) . وقد ولد الهيثم في الكوفة ، ونشأ فيها ، ثم انتقل الى بغداد وحدث بها ، وقد اختص بمجالسة خلفاء بني العباس مثل المنصور والمهدي والهادي والرشيد وروى عنهم (٥) . وقيل ، وقد تكون هذه تهمة ، انه كان على راي الخوارج (٦) . كما كان له علم واشتغال بالحديث النبوي (٧) . وفي بغداد حدثت له حادثة مهمة ، وهي ان بني الحارث بن كعب صاهروه ، والظاهر ان العلاقات لم تكن حسنة بينه وبينهم فاتهمه هؤلاء بانه كان قد تحدث بشيء غير حسن عن العباس بن عبدالمطلب جد العباسيين ، وشكوه الى الخليفة الرشيد ، فحبس لمدة سنوات ولم يزل القوم به حتى طلق زوجته (٨) . وكان للهيثم بن عدي مجلس علم في بغداد يجتمع فيه طلاب العلم والمعرفة ويتدارسون على الهيثم، وقد حضر هذا المجلس مرة في المرات الشاعر الشهير ابو نؤاس فلم يجد عناية من الهيثم او ربما كان الهيثم لايعرف هذا الشاعر، فترك ابو نؤاس المجلس غاضبا ، فلما عرف الهيثم بالامر اسرع يعتذر من ابي نؤاس الذي كان قد نظم شعرا في هجائه (٩) . والظاهر ان الهيثم لم يكن شخصا محبوبا في بغداد ، لان حب الاستطلاع لديه كان كثيرا . وكانت رغبته في جمع الاخبار تصل به الى حد التجسس على الناس ، ومحاولة معرفة كثير من اسرارهم الخاصة وعيوبهم الشخصية « .. وكان الهيثم يروي تلك الاخبار على وجوهها ويشيع ما كتموا ، فكرهه الناس من اجل ذلك ، ووشوا به الى الولاة ، واغروا به الشعراء فاوسعوه هجوا ... » (١٠) .

توفي الهيثم بن عدي سنة ٢٠٧هـ بفم الصلح عند الحسن بن سهل (١١) . وقد بلغ من العمر ٧٣ سنة . هذا مجمل ما تحدث به المؤرخون عن الهيثم اما طلاقته باولي الامر فالظاهر

---

(١) قلت ذلك في حديثي عن « ابي مخنف » و « المدائني » المنشورين في مجلة البلاغ عددي (نيسان ١٩٦٩) ، و (كانون الثاني ١٩٧١) .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٥ ، (القاهرة ، ١٩٤٩) ، ص ١٥٨ ، ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج١٩ ، (القاهرة ، بدون تاريخ) ، ص٣٠٤ .

(٣) القفطي ، انباه الرواة على انباه النحاة ، ج٣ ، (القاهرة، ١٩٥٥) ، ص ٣٦٥

(٤) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٤ ، (بيروت ، بدون تاريخ) ، ص ٥١

(٥) ابن خلكان ، المصدر السابق ، ص١٥٨

(٦) ابن قتيبة ، المعارف ، (القاهرة ، ١٩٣٤) ، ص٢٣٤

(٧) القفطي ، المصدر السابق ، ص٣٦٨

(٨) ياقوت ، المصدر السابق ، ص٣٠٥ـ٦

(٩) الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ص ٥٤

(١٠) ادهم ، علي ، بعض مؤرخي الاسلام ، (القاهرة ، بدون تاريخ) ، ص١٩

(١١) ابن النديم ، الفهرست ، (القاهرة ، بدون تاريخ) ، ص ١٥١ . اما فم الصلح فهو نهر كبير فوق واسط

انها كانت سطحية ، ولا تظهر لنا النصوص التي بايدينا ما يفيد بان الرجل كان مادحا للخلفاء الذين عاصرهم بالشكل الذي يجعله يزيف التاريخ اكراما لهم ، وان كان الطبري قد روى عنه قليلا من اخبار الخليفة المنصور فيها شيء من المدح .

شيوخ الهيثم :

تتلمذ الهيثم بن عدي على جماعة من علماء عصره منهم هشام بن عروة ومحمد بن اسحق صاحب السيرة النبوية ومجالد بن سعيد ومحمد بن عبدالرحمن بن ابي ليلى وسعيد بن ابي عروبة وشعبة بن الحجاج وعبدالله بن عياش وعوانة بن الحكم (١٢) . وما دامت النصوص التي بايدينا من مرويات الهيثم تاتي عن طريق ثلاثة من هؤلاء الرواة وهم : مجالد بن سعيد وعبدالله بن عياش وعوانه بن الحكم ، سنحاول ان نتعرف على قيمة اختصاصات هؤلاء وما اخذه الهيثم عنهم .

اما عوانه بن الحكم فهو « .. من علماء الكوفة راوية للاخبار عالما بالشعر والنسب ، وكان فصيحا ضريرا ... » (١٣) وقد ظهر هذا « .. قبل شيوع الكتب المدونة ... » (١٤) واذا ما عرفنا ان عوانة هذا قد توفي سنة ١٤٧هـ (١٥) ، يتضح لنا ان الهيثم اخذ عنه وهو في بداية مراحله الدراسية الاولى ولربما في الكوفة .

اما مجالد بن سعيد فكان الهيثم « ... يروي عنه ويكثر وكان راوية للاخبار وقد سمع الحديث وكان ضعيفا عند المحدثين وتوفي سنة اربع واربعين ومائة . » (١٦) و « كان نسابا والاغلب عليه رواية الاخبار ... » (١٧) والظاهر انه كان من اوائل شيوخ الهيثم ايضا . اما عبدالله بن عياش المعروف بالمنتوف الهمداني فكان « ... صاحب رواية للاخبار ، والاداب ، وكان من صحابة ابي جعفر المنصور ... » (١٨) والظاهر انه كان جريئا في كلامه حتى مع المنصور ، توفي سنة ١٥٨هـ وحدث عن عامر بن شراحبيل الشعبي (١٩) .

يتضح لنا من هذا العرض البسيط لشيوخ الهيثم انه اعتمد في مروياته على رجال عرفوا برواية الاخبار والاشعار والنسب وقد اشتهروا في ذلك الاختصاص . هذا من جهة ، واما من جهة اخرى فان وفيات هؤلاء في السنين الاولى من تكوين الهيثم التقافي يبين لنا انه ربما اعتمدهم في مسائل قد لا تاتي بالدرجة الاولى بالنسبة لما رواه عن غيرهم ولو اننا لا نستطيع اثبات او نفي ذلك لفقدان اثار الهيثم في الوقت الحاضر. هذا ومن العبث ان نتحدث عن بقية شيوخ الهيثم ، لاننا بصدد دراسة النصوص المتوفرة لدينا حاليا والتي جاءت عن طريق الشيوخ الذين ذكرناهم انفا .

(١٢) الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ص٥٠-٥١
(١٣) ابن النديم ، المصدر السابق ، ص١٤٠
(١٤) مرغوليوث ، دراسات عن المؤرخين العرب ، ترجمة الدكتور حسين نصار ، (بيروت ، بدون تاريخ) ، ص٩٧
(١٥) ابن النديم ، المصدر السابق ، ص١٤٠
(١٦) ابن النديم ، المصدر السابق ، ص١٣٩
(١٧) ابن قتيبة ، المصدر السابق ، ص٢٢٤
(١٨) الخطيب البغدادي ، ج١٠ ، ص١٥
(١٩) الخطيب ، ج١٠ ، ص١٦

روى عن الهيثم كثير من العلماء فهم : العلاء بن موسى ، ومحمد بن سعد صاحب الطبقات وكاتب الواقدي ، والقاسم بن سعيد بن المسيب ، وعلي بن عمر الانصاري ، واحمد بن عبيد بن ناصح وغيرهم (٢٠) .

مؤلفات الهيثم ومدى استفادة المؤرخين منها :

ذكر ياقوت الحموي (٢١) وابن النديم (٢٢) مؤلفات الهيثم بن عدي حينما ترجما لحياته . ويمكن تقسيم هذه المؤلفات بحسب المواضيع التي تناولتها الى الاقسام التالية :

١ ـ الكتب التاريخية :

ويمكن ان ندرج من هذا النوع الكتب التالية :

تاريخ العجم وبني امية ، اخبار زياد بن ابيه ، الوفود ، الصوائف ، الخوارج ، طبقات من روى عن النبي (ص) من الصحابة ، الحسن بن علي ووفاته ، اخبار الفرس ، مقتل خالد بن عبدالله القسري ، اما كتابه المسمى بـ « التاريخ على السنين » فهو كما يرى روزنثال من المحاولات الاولى لتدوين التاريخ الاسلامي على طريق الحوليات ، والتي سبق فيها الهيثم المؤرخ الشهير الطبري في هذا المجال (٢٣) . ويقول الدوري ان الهيثم اكد في هذا الكتاب على « ... فكرة وحدة تجارب الامة » (٢٤) .

٢ ـ كتب المفاخرات والصراع القبلي والانساب واخبار القبائل :

تحت هذا العنوان ندرج الكتب التالية : ـ

كتاب المثالب ، مديح اهل الشام ، حلف كلب وتميم وحلف دهبل وحلف طي واسد ، المثالب الصغير ، المثالب الكبير ، مثالب ربيعة ، تاريخ الاشراف الصغير ، بيوتات العرب ، بيوتات قريش ، اخبار طي ونزولها الجبلين ، فخر اهل الكوفة على اهل البصرة ، مداعي اهل الشام ، اما كتابه المسمى (كتاب الاشراف الكبير) فيقول الدوري عنه انه يعبر « .. عن نظرة الارستقراطية العربية الى مكانها في المجتمع الاسلامي ويعبر عن فكرة الوحدة الثقافية في تاريخ العرب » (٢٥) .

٣ ـ كتب التخطط والبلدان والادارة :

وقد الف الهيثم فيها الكتب التالية :

كتاب الدولة ، هبوط آدم واختراق العرب في نزولها منازلها ، نزول العرب بخراسان والسواد ، المجامع ، ولاة الكوفة ، شرط الخلفاء ، قضاة الكوفة والبصرة ، عمال الشرط لامراء العراق ،

(٢٠) الخطيب ، ج١٤ ، ص٥١
(٢١) معجم الادباء ، ج١٩ ، ص٢٠٩-٢١٠
(٢٢) الفهرست ، ص١٥١-٥٢
(٢٣) روزنثال ، فرانز ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور صالح احمد العلي ، (بغداد ، ١٩٦٣) ، ص١٠٤-٥
(٢٤) الدوري ، عبدالعزيز ، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، (بيروت ، ١٩٦٠) ، ص١٢٤
(٢٥) الدوري ، نفس المصدر ، ص١٢٤

اما كتابه المعروف باسم خطط الكوفة فقد اهتم فيه بالشؤون المحلية كما يقول الدوري (٢٦) .

٤ ـ كتب مختلفة :

وهي كتب متنوعة المواضيع عالج فيها الهيثم بعض المسائل في التاريخ العربي والاسلامي ويمكن ان ندرج منها ما يلي :

المعمرين ، النوافل ، من تزوج من الموالي من العرب ، اسماء بغايا قريش في الجاهلية واسماء من ولدن ، النكت ، تسمية الفقهاء والمحدثين ، منتخل الجواهر ، المحبر ، خطب المفرس بمكة والمدينة . خواتيم الخلفاء .

هذا ويمكن ملاحظة ما يلي على هذه المؤلفات :

١ ـ ان هذه الكتب ، في اعتقادي ، ما هي الا كراريس صغيرة تناولت موضوعات تاريخية ذات وحدة موضوعية قائمة بذاتها ، وهي لا ترقى ، باي حال من الاحوال ، الى مرتبه الكتب الضخمة التي الفت فيما بعد . واذا جاز لنا ان نجعل الهيثم من طبقه المدائني مثلا ، فيمكن القول ان مؤلفات هذه الطبقة كانت لمساعدة الذاكرةوعدم النسيان ، وليست هي مؤلفات بالمعنى الصحيح (٢٧) .

٢ ـ ان مؤلفات الهيثم هذه مفقودة كلها عدا كتاب المثالب الموجود في مكتبه كرنكو (٢٨) .

٣ ـ يذكر بروكلمان (٢٩) ان الهيثم الف بسبب تناقس القبائل وصراعها ، وفي هذا القول شيء من التعميم غير الصحيح اذ ان كثيرا من هذه المؤلفات كانت تنطوي على مواضيع تاريخية لا علاقة لها بصراع القبائل ، وان كان جزءا منها قد مثل هذه الناحية .

٤ ـ استفاد كثير من المؤرخين من مؤلفات الهيثم ، ومن هؤلاء الطبري والبلاذري والمسعودي ووكيع وابن قتيبه في كتابه « عيون الاخبار » وغيرهم .

فالطبري اخذ عن الهيثم اخبار هشام بن عبدالملك وخالد القسري وثورة زيد بن علي ومقتله واحداث سنة ١٢٩هـ ، وخروج عبدالله بن علي على المنصور واحداث سنة ١٣٧هـ وقدوم ابي مسلم الخراساني على السفاح ووفاة السفاح ، وبناء بغداد وغيرها (٣٠) . كما كان الهيثم مصدرا مهما للطبري في احاديثه عن عصر الخليفة المنصور بشكل واسع وكبير (٣١) .

وقد استفاد البلاذري من الهيثم في كتابه «فتوح البلدان»، فذكر عنه اخبار البصرة ، وفتح شراحبيل ابن حسنه الاردن ، ومصالحه المسلمين اهل دمشق ، وفتح وادارة المسلمين للمدائن،

(٢٦) الدوري ، نفس المصدر ، ص٤١

(٢٧) مرغوليوث ، المصدر السابق ، ص٩٦

(٢٨) بروكلمان ، كارل ، تاريخ الادب العربي ، ج٢ ، ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار ، (القاهرة ، ١٩٦٢) ، ص٣٣-٤

(٢٩) بروكلمان ، نفس المصدر ، ص٣٤

(٣٠) الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، (القاهرة ، ١٩٦٦) صفحات : ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٦٠ ، ٢٥٥ ، ٣٤٩ ، ٤٦٨ ، ٤٧١ ، ٤٧٥ ، ٦١٥

(٣١) الطبري ج٨ ، صفحات : ٦٩ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ٩٢ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١١٣ ، ١٤٥ ، ١٧٦

وبعض اخبار سجستان واخبار الخوارج فيها ، وفتح بلاد الشاش ، واسكان قتيبة بن مسلم العرب في فرغانةوالشاش (٣٢). كما استفاد منه في الجزء الخامس من كتابه « انساب الاشراف » حيث روى عنه اخبار عبدالملك بن مروان والمختار ، وحركة التوابين ، واخبار مصعب بن الزبير ومقتله وغيرها من الاحداث (٣٣) .

وقد اخذ المسعودي قليلا من مرويات الهيثم حيث روى عنه بعض اخبار السفاح والمهدي وبني امية (٣٤) .

اما محمد بن خلف بن حيان المسمى « وكيع » فقد كان الهيثم مصدرا مهما له في اخباره عن قضاة الكوفة (٣٥) وقد اورد ابن عبد ربه الاندلسي في كتابه « العقد الفريد بعض الاخبار عن الهيثم(٣٦) . كما استفاد من الهيثم قليلا ابن قتيبة الدينوري في كتابه « عيون الاخبار » .

ان المتتبع لاخبار وآراء الهيثم التي وردت في كتب التاريخ والادب يجدها كثيرة متفرقة في اجزاء كثيرة من الكتب ، ولكن السمة العامة لهذه الاخبار تكون عادة قصيرة وفي بعض الاحيان غير هامة .

واذا ما قورن الهيثم بن عدي مثلا بابي مخنف والمدائني وسيف بن عمر وغيرهم من رواة الطبري فلا تكون مروياته شيئا مذكورا بالنسبة الى هؤلاء المؤرخين .

مناهج البحث عند الهيثم بن عدي :

قد يكون من التجوز بمكان ان نقول انه كان للهيثم مناهج بحث كما هو معروف في الدراسات التاريخية الحديثة . والذي نقصده هنا هو ايضاح طريقة الهيثم في عرض الاحداثالتاريخية من ناحية الاعتماد على السند او عدمه ، او استخدام الشعر ، او الآيات القرآنية ، او الوثائق او غيرها . وقبل التحدث عن هذه الامور لابد من التاكيد على ناحية هامة في هذا المجال ، وهي اسلوب الهيثم في الكتابة التاريخية .

ان الهيثم ليس هو الراوي الاصلي للاحداث التي وردت عنه ، وانما كان بينه وبين الاحداث التي كان يرويها اكثر من راو . هذا وقد استعمل طريقة الاخذ عن الرواة حتى في الاحداث المعاصرة له الامر الذي يجعل من الصعوبة حقا التعرف على اسلوب خاص للهيثم . واذا جاز لنا ان نستشف من هذه الروايات اسلوبا خاصا يمكن ان يميز الهيثم عن غيره فيمكن

(٣٢) البلاذري ، احمد بن يحيى ، فتوح البلدان ، (بيروت ١٩٥٧) صفحات ١١٢ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، ٣٩٠ ، ٥٦٦ ، ٥٩٣ ، ٦٠٦

(٣٣) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ، (القدس ، ١٩٣٦) صفحات : ١٣٦ ، ٢٣١ ، ٢١٢ ، ٢٦٤ ، ٣٤٠

(٣٤) المسعودي ، علي بن الحسين ، مروج الذهب ، ج٣ ، (القاهرة ، ١٩٤٨) صفحات : ٢٢٣ ، ٢٥٨ ، ٣٣١

(٣٥) وكيع ، محمد بن خلف ، اخبار القضاة ، ج٢ ، (القاهرة، ١٩٤٧) ، صفحات ٣٨ ، ١٩٩ ، ٢١٤-٢٢١ ، ٣٩٦ ، ٤٠٨-٩ ، ٤١٣ .

(٣٦) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٢ ، (بغداد ، ١٩٦٧) صفحات ١٥٨ ، ١٤٨ ، ٤٠١ ، ٤٢٩

القول ان اغلب الروايات التي رواها كانت تأخذ شكل محاورات بين المشتركين في الاحداث التاريخية (٣٧) . كما ان اسلوب الهيثم في عرض الاحداث التاريخية كان قصيرا ، وكانت الروايات التي ترد عنه مختصرة بشكل عام (٣٨) . هذا من ناحية الاسلوب . اما من ناحية مناهج البحث الاخرى فيمكن ان نجمل ما يلي :

اولا : ان الهيثم بن عدي كان يستخدم السند في رواياته التاريخية ، وكانت اغلب الروايات ترد عن طريق الشيوخ الثلاثة الذين اخذ عنهم ، فهي اما ان تاتي عن طريق الهيثم عن مجالد ، عن الشعبي وتصل الى ابن عباس في بعض الاحيان (٣٩) . او تاتي عن طريق عبدالله بن عياش الهمداني (٤٠) . وقد تاتي عن طريق ابن الكلبي (٤١) ، وهي قليلة جدا . هذا وقد استخدم الهيثم احيانا قليلة اخبارا رواها عن بعض اهل الكتاب (٤٢) . ولم يأخذ الهيثم عن شيخه عوانه بن الحكم الا قليلا من الروايات حسب ما توفر لدينا من النصوص الباقية (٤٣) . وعموما يمكن القول بان الرجل استخدم السند كثيرا ، الامر الذي يجعل من تهمه الدوري له في التساهل باستعمال السند (٤٤) لا تقوم على اساس واقعي .

ثانيا : وردت في تاريخ الطبري وغيره كثير من الروايات التي تحدث بها الهيثم مباشرة عن احداث تاريخية خاصة ، واغلب هذه الروايات كانت من الاحداث المعاصرة ، ولا سيما من عصر المنصور ، وحتى من عصور بعيدة عن عصر المؤلف (٤٥) .

ثالثا : استخدم الهيثم قليلا من الشعر في مروياته (٤٦) .

رابعا : لم يستخدم الهيثم ، وهو المؤرخ المعاصر لبعض الاحداث التي كان يرويها ، الوثائق ، كما انه لم يستعمل الآيات القرآنية المناسبة .

خامسا : اهتم الهيثم بصورة عامة في احداث العراق وخراسان في عصر عبدالملك وثورات العراقيين على الخلافة الاموية ، كما انه اهتم بالصدر الاول من تاريخ الدولة العباسية ولا سيما عصر المنصور .

سادسا : يذكر الدكتور الدوري ان الهيثم يجمع في دراساته بين الدراسة التاريخية ودراسة الانساب وذلك نتيجة وجهات نظر مختلفة في هذه الدراسات (٤٧) . وهذه ملاحظة لم نجدها في النصوص المتوفرة من روايات الهيثم .

سابعا : يذكر بروكلمان (٤٨) ان الهيثم كان يهتم فيما يرويه بصراع القبائل . وهذه ملاحظة صحيحة حيث ان الهيثم الف كتبا في هذه المسائل ، وان كان قد الف في مواضيع اخرى كما ذكرنا سابقا . وفي ايدينا بعض النصوص التي ربما تؤيد اتجاه الهيثم الى مسالة الصراع القبائلي ، فقد ذكر هو عن بعض الرواة قوله « ... كنت كثيرا ما اقول لاصحابي : اني احسب هذا الرجل (خالد القسري) قد تخلي منه ، ان قريشا لا تحتمل هذا او نحوه ، وهم اهل حسد ... » (٤٩) . وفي اخبار خالد القسري ايضا يروي الطبري نصوصا اخرى عن هذه المسائل القبلية كقول الوليد بن يزيد بعض الشعر « يوبخ به اهل اليمن في تركهم نصرة خالد بن عبدالله » (٥٠) والرواية منقولة هنا عن الهيثم . وفي نص اخر يورد الهيثم بن عدي راي يوسف بن عمر ، وهو والي الكوفة الذي تولى امرها بعد خالد القسري ، الذي يبين فيه ان « .. بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعا ، حتى كانت همة احدهم فوت عياله ، فلما ولي خالد العراق اعطاهم الاموال فقووا بها حتى نافت انفسهم الى طلب الخلافة ... » (٥١) . هذه بعض النصوص التي ربما تعين على ايضاح اهتمام الرجل في ذلك الصراع القبلي العنيف ، والتي حفظت لنا في تاريخ الطبري مروية عن الهيثم .

تقييم مرويات الهيثم :

تحدث كثير من المؤرخين وعلماء الحديث عن قيمة مرويات الهيثم بن عدي ومدى صحتها . وسنحاول فيما يلي ان نبين اهم الاراء التي قيلت في هذا الرجل ، وفي مروياته ، محاولين ان نكون من خلال هذه الاراء صورة صادقة عنه .

اورد الخطيب البغدادي كثيرا من الاحاديث حول كذب الهيثم ، وعدم الوثوق في مروياته ، ولا سيما فيما يتعلق بالانساب والحديث ، ولكنه بين ان الهيثم كان عارفا باخبار الناس (٥٢) . وذكر الذهبي ايضا احاديث عن كذب الهيثم ، ونقل روايات عن البخاري والنسائي حول كذبه ، وبانه متروك الحديث ، كما اورد نصا عن احد العلماء قال فيه « ما اقل ما له (للهيثم) من المسند ، انما هو صاحب اخبار » . وقد علق الذهبي على هذه الاحاديث بقوله « كان اخباريا علامة » (٥٣) . وذكر ابن ابي حاتم الرازي مجموعة من الروايات عن كذب الهيثم ، وعدم

---

(٣٧) انظر مثلا ، الطبري ، ج٧ ، ص١٥٢ ، ٣٤٩ ، ٦١٥ ، ج٨ ، ص٧٨ ، ٨٤ ، ١١٣-١٤ ، ١٧٦

(٣٨) يلاحظ ذلك في مروياته التي اوردها الطبري في الجزئين السابع والثامن من تاريخه ، وكذلك في عيون الاخبار لابن قتيبة ، وانساب الاشراف للبلاذري ، وغيرها من الكتب

(٣٩) انظر سبيل المثال ، الطبري ، ج٢ ، ص٣١٥ ، ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج١ ، ص٣١١

(٤٠) تكاد تكون كافة الروايات التي وردت عن الهيثم في تاريخ الطبري والبلاذري في الانساب وابن قتيبه في عيون الاخبار مأخوذة عن شيخ الهيثم ابن عياش

(٤١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٩٠

(٤٢) محمد بن حبيب ، المحبر ، (حيدر آباد ، ١٩٤٢) ، ص٢ ، الطبري ، ج٢ ، ص٢٣٨

(٤٣) العقد الفريد ، ج٢ ، ص٤٠١ ، انساب الاشراف ، ج٥ ، ص١٤٠

(٤٤) الدوري ، المصدر السابق ، ص٤٢-٤٣

(٤٥) الطبري ، ج٧ ، ٣٤٩ ، ٤٦٨ ، ٤٧٥ ، ج٨ ، ١٠٢ ، ١٤٥ ، ١٧٦ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١١٢ ، ٣٩٠ ، ٣٩٣

(٤٦) الطبري ، ج٨ ، ص٩٨ ، البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ، ص١٤٠

(٤٧) الدوري ، المصدر السابق ، ص٤٢

(٤٨) تاريخ الادب العربي ، ج٣ ، ص٣٢

(٤٩) الطبري ، ج٧ ، ص١٥٢

(٥٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ص٢٤٣

(٥١) الطبري ، ج٧ ، ص٢٥٥

(٥٢) تاريخ بغداد ، ج١٤ ، ص٥٢-٣

(٥٣) الذهبي ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، القسم الرابع ، (القاهرة . بدون تاريخ) ، ص٣٢٤

الثقة فيما يقول ، وقال ابن ابي حاتم انه سأل والده عن الهيثم فقال له « متروك الحديث ... » (٥٤) . واورد كل من ياقوت الحموي وابن خلكان (٥٥) ، ولعل احدهما اخذ عن الآخر ، نصا بينا فيه ان الهيثم كان « راوية ، اخباريا ، نقل من كلام العرب وعلومها واشعارها ولغاتها الكثير ... » (٥٦) . وقال ابن النديم في الهيثم « ... عالم بالشعر والاخبار والمثالب والمناقب والمآثر والانساب ... » (٥٧) .

اذا نحن امام روايات مختلفة حول قيمة مرويات الرجل ، تمثل المجموعة الاولى منها ، وهي التي ترمي الهيثم بالكذب ، موقف رجال الحديث من الهيثم . ولو نظرنا الى بعض هذه الروايات لوجدناها لا تبخس الرجل حقه في مجال رواية الاخبار. اما المجموعة الثانية من هذه الروايات فهي اراء المؤرخين ، وقد بينت هذه الروايات قيمة الهيثم ومروياته في مجال التاريخ والانساب ووثقته فيهما لقد بين الاستاذ احمد زكي طبيعة هذه المشكلة حينما تحدث عن هشام الكلبي (٥٨) . فقال ان هشام ومن هم على شاكلته ، ومنهم الهيثم بن عدي في اعتقاد كاتب هذه المقالة ، قد « تعرضوا لرواية الآثار دون ان تتوفر فيهم الشروط اللازمة فيمن يتصدر لاملاء الحديث ... » وهذا الامر هو الذي دعا رواة الحديث الى « ... الطعن على امثال اولئك المصنفين والتحذير من الاخذ باقوالهم » (٥٩) والظاهر ان هذه المشكلة قد ابتلى بها اكثرية المؤرخين الاوائل ومنهم هشام الكلبي والهيثم بن عدي وغيرهم .

لقد اتهم رجال الحديث مثل هؤلاء المؤرخين بالكذب في قضايا الاحاديث ، وامتدت هذه التهمة الى كتابات هؤلاءالمؤرخين التاريخيـــة .

لقد استفاد كشرف المؤرخين من مرويات الهيثم ، وان كانت هذه الاستفادة قليلة ، فقد كان ، كما ذكرنا ، احد رواة الطبري . ومصدرا من مصادر البلاذري في كتابيه « فتوح البلدان » و « انساب الاشراف » ، كما اعتمده ابو حنيفـــة الدنيوي في كتابه « الاخبار الطوال » ، كما اخذ عنه ابن قتيبة الذي كان يتشدد كثيرا في قبول الروايات . ولم يشر المسعودي في مقدمة كتابه « مروج الذهب » الى الهيثم حينما تحدث عن ضعاف المؤرخين (٦٠) .

هذه الامور وغيرها تؤكد مكانة الهيثم فيالدراساتالتاريخية، وان كانت هذه المكانة لا تصل به الى مرتبة المدائني وابي مخنف وابن الكلبي وغيرهم (٦١) . واذا كان لنا ان نقول شيئا عما اورده هذا المؤرخ عن الذين عاصرهم ، الامر الذي قد يـؤدي الى تحيزه لهم ، فيمكن القول بان ما رواه عنهم ما كان ليخالف بقية الروايات الاخرى المروية عن غيره عنهم .

وبعـــد :

فهل استطعنا ان نقيم الهيثم بن عدي حقا ؟

في اعتقادي ان الهيثم سوف لن يقيم بصورة صحيحة ما دامت مؤلفاته مفقودة ، ذلك لان النصوص الواردة عنه في تاريخ الطبري وغيره غير كافية لاظهار اراائه ومناهجه بصورة واضحة، اضافة الى انها لا ترد عنه مباشرة حيث ان بينها وبين راوي الحادثة المباشر اكثر من راو ، وعندئذ لا نستطيع ان نتعـرف من خلالها ــ بصورة اكيدة ــ على اسلوب الهيثم ولا على اراائـه ونوازعه السياسية والمذهبية ، وهي امور لابد من التعرف عليها واظهارها ونحن في مجال مثل هذه الدراسات النقدية . وما هذه الدراسة الا محاولة بسيطة للتعرف على بعض جهوده في مجال التـــاريخ .

---

(٥٤) الرازي ، ابن ابي حاتم ، الجـــرح والتعـــديل ، ج٤ ، (حيدر آباد ، ١٩٥٣) ، ص٨٥

(٥٥) معجم الادباء ، ج١٩ ، ص٣٠٤ ، ابن خلكان ، وفيـــات الاعيان ، ج ٥ ، ص ١٥٧ .

(٥٦) اورد كل من ياقوت الحموي وابن خلكان هذا النـــص في كتابيهما مع فارق بـسيط جدا

(٥٧) الفهرست ، ص١٥١

(٥٨) مقدمة الاستاذ احمد زكي لكتاب « الاصنام » لابن الكلبي، (القاهرة ، ١٩٦٥) ، ص١٢

(٥٩) نفس المصدر ، ص١٣

(٦٠) مروج الذهب ، ج١ ، ص١٢-١٧

(٦١) درس كاتب هذه المقالة هؤلاء المؤرخين وكتب عنهم فياجزاء متعددة من مجلة البلاغ .